العلم والجهل

بـ

لا اله الا اللّٰه

د.ماجد كارم

العلم والجهل بـ لا اله الا اللّه

أنواع الجهل

قال اللّه تعالي (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآَنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠) [النور/٣٩-٤١]

تفسير ابن كثير - (ج ٦ / ص ٧٠)

(هذان مثلان ضربهما اللّه تعالى لنوعي الكفار، كما ضرب للمنافقين في أول "البقرة" مثلين ناريًا ومائيًا، وكما ضرب لما يقر في القلوب من الهدى والعلم في سورة "الرعد" مثلين مائيًا وناريًا، وقد تكلمنا على كل منها في موضعه بما أغنى عن إعادته، ولله الحمد والمنة. فأما الأول من هذين المثلين: فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم، الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في نفس الأمر على شيء، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد كأنه بحر طام . والقيعة: جمع قاع، كجار وجيرَةٍ. والقاع أيضًا: واحد القيعان، كما يقال: جار وجيران. وهي: الأرض المستوية المتسعة المنبسطة، وفيه يكون السراب، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار. وأما الآل فإنما يكون أول النهار، يرى كأنه ماء بين السماء والأرض، فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء، حسبه ماءً فقصده ليشرب منه، فلما انتهى إليه ﴿ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ ،

فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حَصَّل شيئًا، فإذا وافى اللّه يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش على أفعاله، لم يجد له شيئًا بالكلية قد قُبل، إما لعدم الإخلاص، وإما لعدم سلوك الشرع،

كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] . وقال هاهنا : ﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ .

وهكذا رُوي عن أُبي بن كعب، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة وغير واحد. وفي الصحيحين : أنه يقال يوم القيامة لليهود: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عُزَيْر ابن الله. فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من ولد، ماذا تبغون؟ فيقولون: أي رَبَّنَا، عَطشنا فاسقنا. فيقال: ألا ترون؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فينطلقون فيتهافتون فيها . وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب.

●فأما أصحاب الجهل البسيط، وهم الطَّماطم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر، الصم البكم الذين لا يعقلون، فمثلهم كما قال تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ﴾ :
قال قتادة: وهو العميق. ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾ أي: لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام،

فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب، ولا [هو] يعرف حال من يقوده، بل كما يقال في المثل للجاهل: أين تذهب؟ قال: معهم. قيل: فإلى أين يذهبون؟ قال: لا أدري.

وقال العوفي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما: ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ﴾ يعني بذلك: الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر، وهي كقوله: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٧] ، وكقوله (٥) : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣] . وقال أُبيّ بن كعب في قوله: ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ فهو يتقلب في خمسة من الظلم: كلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات، إلى النار. وقال الربيع بن أنس، والسُّدِّي نحو ذلك أيضًا. وقوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ أي: من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٦] وهذا [في] مُقابلة ما قال في مثل المؤمنين: ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نورًا، وعن أيماننا نورًا، وعن شمائلنا نورًا، وأن يعظم لنا نورًا.) ا هـ

جاء في تفسير الطبري - (ج ١٩ / ص ١٩٥)

(وهذا مثل ضربه اللّه لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذّبوا بهذا القرآن، وبمن جاء به مَثَلُ أعمالهم التي عملوها (كسراب) يقول: مثل سراب، والسراب ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النهار، وحين يشتدّ الحرّ والآل، ما كان كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أوّل النهار، يرفع كلّ شيء ضحى. وقوله:(بقيعة) وهي جمع قاع، كالجيرة جمع جار، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب. وقوله:(يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً) يقول: يظن العطشان من الناس السراب ماء(حَتَّى إِذَا جَاءَهُ) والهاء من ذكر السراب، والمعنى: حتى إذا جاء الظمآنُ السرابَ ملتمسا ماءً، يستغيث به من عطشه(لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) يقول: لم يجد السراب شيئا، فكذلك الكافرون باللّه من أعمالهم التي عملوها في غرور، يحسبون أنها منجيتهم عند اللّه من عذابه، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يُرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند اللّه، لم يجده ينفعه شيئا؛ لأنه كان عمله على كفر باللّه، ووجد اللّه، هذا الكافرُ عند هلاكه بالمرصاد، فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه. فإن قال قائل: وكيف قيل:(حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) فإن لم يكن السراب شيئا، فعلام أدخلت الهاء في قوله:(حَتَّى إِذَا جَاءَهُ) ؟ قيل: إنه شيء يرى من بعيد كالضباب، الذي يرى كثيفا من بعيد، والهباء، فإذا قرب منه المرء، رقّ وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه حتى إذا جاء موضع السراب؛ لم يجد السراب شيئا، فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه،(وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يقول واللّه سريع حسابه؛ لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع، ولا حفظ بقلب، ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد، ومن بعد ما عمله.حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله:(وَالَّذِينَ كَفَرُوا) ... إلى قوله:(وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ) قال: هذا مثل ضربه اللّه للذين كفروا(أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) قد رأى السراب، ووثق بنفسه أنه ماء، فلما جاءه لم يجده شيئا، قال: وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة، وأنهم سيرجعون منها إلى خير، فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب، فهذا مثل ضربه اللّه جلّ ثناؤه، وتقدّست أسماؤه. القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠) ﴾ وهذا مثل آخر ضربه اللّه لأعمال الكفار، يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار، في أنها عملت على خطأ

وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها، وعلى غير هدى، مَثَلُ ظلمات في بحر لجِّيّ، ونسب البحر إلى اللجة وصفًا له بأنه عميق كثير الماء، ولجة البحر معظمه(يَغْشَاهُ مَوْجٌ) يقول: يغشى البحر موج(مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه،(مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأوّل سحاب، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، والبحر اللجيّ مثلا لقلب الكافر، يقول: عمل بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشَّته الضلال والحيرة، كما يغشى هذا البحر اللجّي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله ختم عليه، فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه، فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض) اهـ .

....

الجهل بالله كُفر قبل الخبر وبعد الخبر

ذُكرت كلمة تجهلون أربع مرات

❶- قال الله تعالي(وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) [هود/٢٩،] جاء في تفسير ابن كثير - (ج ٦ / ص ٢٠٠) (أي: لا تعرفون شيئًا لا طبعًا ولا شرعًا)ا هـ الجهل بالله كفر قبل الخبر وبعد الخبر

❷- وقال الله تعالي (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) [الأحقاف/٢٣ تفسير الرازي - (ج ١٤ / ص ٦٣) ﴿ ولكنى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ وهذا يحتمل وجوهاً الأول : المراد أنكم لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا سائلين عن غير ما أذن لهم فيه وإنما بعثوا مبلغين الثاني : أراكم قوماً تجهلون من حيث إنكم بقيتم مصرين على كفركم وجهلكم فيغلب على ظني أنه قرب الوقت الذي ينزل عليكم العذاب بسبب هذ الجهل المفرط والوقاحة التامة الثالث : ﴿ إِنّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ حيث تصرون على طلب العذاب وهب أنه لم يظهر لكم كوني صادقاً ، ولكن لم يظهر أيضاً لكم كوني كاذباً فالإقدام على الطلب الشديد لهذا العذاب جهل عظيم).ا هـ

❸- قال الله تعالي(أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٥) [النمل/٥٥] تفسير الطبري - (ج ١٩ / ص ٤٨١) يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حقّ الله عليكم، فخالفتم لذلك أمره، وعصيتم رسوله" ا هـ

❹- تفسير قوله تعالي (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) [الأعراف/١٣٨-١٤٠]

جاء في تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٨٠)

(قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها، والعبر التي عاينوها على يدي نبيّ اللّه موسى، فلم تزجرهم تلك الآيات، ولم تعظهم تلك العبر والبينات! حتى قالوا = مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكُرَ معها البهائم، إذ مرُّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، يقول: يقومون على مُثُل لهم يعبدونها من دون اللّه "اجعل لنا" يا موسى "إلهًا"، يقول: مثالا نعبده وصنما نتخذُه إلهًا، كما لهؤلاء القوم أصنامٌ يعبدونها. ولا تنبغي العبادة لشيء سوى اللّه الواحد القهار. وقال موسى صلوات اللّه عليه: إنكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة اللّه وواجبَ حقه عليكم، ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة سوى للّه الذي له ملك السموات والأرض) ا هـ

وذكر عن ابن جريج في ذلك ما: - ١٥٠٥٣

- حدثنا القاسم قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج:(وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم)، قال ابن جريج: "على أصنام لهم"، قال: تماثيل بقر. فلما كان عجل السامريّ شبِّه لهم أنه من تلك البقر، فذلك كان أوّل شأن العجل:(قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)

جاء في تفسير ابن كثير - (ج ٣ / ص ٤٦٧)

(يخبر تعالى عما قاله جهلة بني إسرائيل لموسى، عليه السلام، حين جاوزوا البحر، وقد رأوا من آيات اللّه وعظيم سلطانه ما رأوا، ﴿ فَأَتَوْا ﴾ أي: فمروا ﴿ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ قال بعض المفسرين: كانوا من الكنعانيين. وقيل: كانوا من لخم. قال ابن جريج: وكانوا يعبدون أصناما على صور البقر، فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك، فقالوا: ﴿ يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ أي: تجهلون عظمة اللّه وجلاله، وما يجب أن ينزه عنه من الشريك والمثيل. ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ أي: هالك ﴿ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾) ا هـ

جاء في تفسير البغوي - (ج ٣ / ص ٢٧٤)

(أي: مثالا نعبده ﴿ كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ ولم يكن ذلك شكا من بني إسرائيل في وحدانية الله، وإنما معناه: اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله عز وجل وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم. ﴿ قَالَ ﴾موسى﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ عظمة الله. ﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ﴾ مهلك، ﴿ مَا هُمْ فِيهِ ﴾ والتتبير الإهلاك، ﴿ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ قَالَ ﴾ يعني موسى ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ ﴾ أي: أبغي لكم وأطلب، ﴿ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أي: على عالمي زمانكم.)ا هـ

جاء في تفسير الألوسي - (ج ٦ / ص ٣٣١)

﴿ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ أي يواظبون على عبادتها ويلازمونها ، وكانت كما أخرج ابن المنذر . وغيره عن ابن جريج تماثيل بقر من نحاس ، وهو أول شأن العجل ، وقيل : كانت من حجارة ، وقيل : كان بقراً حقيقة وقرأ حمزة . والكسائي ﴿ يعكفون ﴾ بكسر الكاف ﴿ قَالُوا ﴾ عندما شاهدوا ذلك ﴿ يَا مُوسَى اجعل لَّنَا إلهاً ﴾ مثالاً نعبده ﴿ كَمَا لَهُمْ ءالِهَةٌ ﴾ الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لإلها و ﴿ ما ﴾موصولة و ﴿ لهم ﴾ صلتها و ﴿ آلهة ﴾ بدل من الضمير المستتر فيه ، والتقدير اجعل لنا إلها كائناً كالذي استقر هو لهم .وجوز أبو البقاء أن تكون ما كافة للكاف ، ولذا وقع بعدها الجملة الإسمية وأن تكون مصدرية ، ولهم متعلق بفعل أي كما ثبت لهم ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ تعجب عليه السلام من قولهم هذا بعدما شاهدوه من الآية الكبرى والبينة العظمى فوصفهم بالجهل على أتم وجه حيث لم يذكر له متعلقاً ومفعولاً لتنزيله منزلة اللازم أو لأن حذفه يدل على عمومه أي تجهلون كل شيء فدخل فيه الجهل بالربوبية بالطريق الأولى ، وأكد ذلك بأن ، وتوسيط قوم وجعل ما هو المقصود بالأخبار وصفاً له ليكون كما قال العلامة كالمتحقق المعلوم وهذه كما ذكر الشهاب نكتة سرية في الخبر الموطىء لادعاء أن الخبر لظهور أمره وقيام الدليل عليه كأنه معلوم متحقق فيفيد تأكيده وتقريره ولولاه لم يكن لتوسيط الموصوف وجه من البلاغة).ا هـ

جاء في فتح القدير – (ج ٣ / ص ٨٤)

(ويعكف بمعنى أقام على الشيء ولزمه ، والمصدر منها عكوف . قيل : هؤلاء القوم الذين آتاهم بنو إسرائيل هم من لخم كانوا نازلين بالرقة ، كانت أصنامهم تماثيل بقر . وقيل : كانوا من الكنعانيين ﴿ قَالُواْ ﴾ أي بنو إسرائيل عند مشاهدتهم لتلك التماثيل ﴿ ياموسى اجعل لَّنَا إلها ﴾ أي صنماً نعبده كائناً كالذي لهؤلاء القوم ، فالكاف متعلق بمحذوف وقع صفة ل ﴿ إلهاً ﴾ ، فأجاب عليهم موسى ، و ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وصفهم بالجهل ، لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله . ولكن هؤلاء القوم ، أعني بني إسرائيل ، أشد خلق الله عناداً وجهلاً وتلوّناً . وقد سلف في سورة البقرة بيان ما جرى منهم من ذلك . ثم قال لهم موسى ﴿ إِنَّ هَؤُلآء ﴾ يعني القوم العاكفين على الأصنام ﴿ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾ التبار : الهلاك . وكل إناء منكسر فهو متبر ، أي أن هؤلاء هالك ما هم فيه مدمّر مكسر . والذي هم فيه هو : عبادة الأصنام . أخبرهم بأن هذا الدين الذي هؤلاء القوم عليه هالك مدمّر لا يتمّ منه شيء . قوله : ﴿ وباطل مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أي ذاهب مضمحل جميع ما كانوا يعملونه من الأعمال مع عبادتهم للأصنام . قال في الكشاف : وفي إيقاع ﴿ هؤلاء ﴾ اسماً لإن ، وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبراً لها ، وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرّضون للتبار ، وأنه لا يعدوهم ألبتة ، وأنه لهم ضربة لازب ، ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ، ويبغض إليهم ما أحبوا . قوله : ﴿ أَغَيْرَ الله أَبْغِيكُمْ إلها ﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ ، أي كيف أطلب لكم غير الله إلها تعبدونه ، وقد شاهدتم من آياته العظام ما يكفي البعض منه؟ والمعنى : أن هذا الذي طلبتم لا يكون أبداً . وإدخال الهمزة على ﴿ غير ﴾ للإشعار بأن المنكر هو كون المبتغى غيره سبحانه إلها)ا هـ

جاء في زاد المسير– (ج ٣ / ص ٢٧)

(قال الزجاج : ومعنى ﴿ يعكفون على اصنام لهم ﴾ : يواظبون عليها ويلازمونها ، يقال : لكل من لزم شيئاً وواظب عليه : عَكَفَ يَعْكِفُ ويَعْكُفُ . قال قتادة : كان أولئك القوم نزولاً بالرقة ، وكانوا من لخم . وقال غيره : كانت أصنامهم تماثيل البقر . وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهموا جواز عبادة غير الله بعدما رأوا الآيات)ا هـ

جاء في تفسير الرازي - (ج ٧ / ص ٢٣٠)(اعلم أنه تعالى لما بين أنواع نعمه على بني إسرائيل بأن أهلك عدوهم وأورثهم أرضهم وديارهم أتبع ذلك بالنعمة العظمى ، وهي أن جاوز بهم البحر مع السلامة ، ولما بين تعالى في سائر السور كيف سيرهم في البحر مع السلامة ، وذلك بأن فلق البحر عند ضرب موسى البحر بالعصا وجعله يبساً بين أن بني إسرائيل لما شاهدوا قوماً يعكفون على عبادة أصنامهم ، جهلوا وارتدوا وقالوا : لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، ولا شك أن القوم لما شاهدوا المعجزات الباهرة التي أظهرها اللّه تعالى لموسى على فرعون ، ثم شاهدوا أنه تعالى أهلك فرعون وجنوده ، وخص بني إسرائيل بأنواع السلامة والكرامة ثم إنهم بعد هذه المواقف والمقامات يذكرون هذا الكلام الفاسد الباطل كانوا في نهاية الجهل وغاية الخلاف . أما قوله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إسراءيل البحر ﴾ يقال : جاوز الوادي . إذا قطعه وخلفه وراءه وجاوز بغيره ، عبر به وقرىء ﴿ جوزنا ﴾ بمعنى : أجزنا . يقال : أجاز المكان وجوزه بمعنى : جازه ﴿ فَأَتَوْاْ على قَوْمٍ يَعْكُفُونَ على أَصْنَامٍ لَّهُمْ ﴾

قال الزجاج : يواظبون عليها ويلازمونها . يقال : لكل من لزم شيئاً وواظب عليه ، عكف يعكف ويعكف ، ومن هذا قيل لملازم المسجد متعكف . وقال قتادة : كان أولئك القوم من لخم ، وكانوا نزولاً بالريف . قال ابن جريج : كانت تلك الأصنام تماثيل بقر وذلك أول بيان قصة العجل . ثم حكى تعالى عنهم أنهم ﴿ قَالُواْ ياموسى اجعل لَّنَا إلها كَمَا لَهُمْ ءالِهَةٌ ﴾ واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة وخالقاً ومدبراً ، لأن الذي يحصل بجعل موسى وتقديره : لا يمكن أن يكون خالقاً للعالم ومدبراً له ، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصناماً وتماثيل يتقربون بعبادتها إلى اللّه تعالى ، وهذا القول هو الذي حكاه اللّه تعالى عن عبدة الأوثان حيث قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرّبُونَا إِلَى اللّه زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] . إذا عرفت هذا فلقائل أن يقول : لم كان هذا القول كفراً؟ فنقول : أجمع كل الأنبياء عليهم السلام على أن عبادة غير اللّه تعالى كفر ، سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلهاً للعالم ، أو اعتقدوا فيه أن عبادته تقربهم إلى اللّه تعالى لأن العبادة نهاية التعظيم ، ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام . فإن قيل : فهذا القول صدر من كل بني إسرائيل أو من بعضهم؟ قلنا : بل من بعضهم ، لأنه كان مع موسى عليه السلام السبعون المختارون وكان فيهم من يرتفع عن مثل هذا السؤال الباطل . ثم إنه تعالى حكى عن موسى عليه السلام أنه أجابهم فقال : ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ وتقرير هذا الجهل ما ذكر أن العبادة غاية التعظيم ، فلا تليق إلا بمن يصدر عنه غاية الإنعام .

الجهل ومرادفاته في القرآن الكريم

أولا- ذكرت كلمة الجاهلين ست مرات في القرآن الكريم

❶- تفسير قوله تعالي(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) [البقرة/٦٧]

جاء في تفسير الطبري - (ج ٢ / ص ١٨٣)

(فأخبرهم موسى -إذْ قالوا له ما قالوا- أن المخبر عن الله جل ثناؤه بالهزء والسخرية، من الجاهلين. وبرأ نفسه مما ظنوا به من ذلك فقال:(أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)، يعني من السفهاء الذين يروون عن الله الكذب والباطل.)ا هـ

جاء في تفسير البغوي - (ج ١ / ص ١٠٦)

(﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ ﴾ أمتنع بالله ﴿ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل: من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لأن الجواب لا على وفق السؤال جهل، فلما علم(القوم))ا هـ

جاء في تفسير النسفي - (ج ١ / ص ٥٣)

﴿ قَالَ أَعُوذُ بالله ﴾ العياذ واللياذ من وادٍ واحد . ﴿ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهلين ﴾ لأن الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه ، وفيه تعريض بهم أي أنتم جاهلون حيث نسبتموني إلى الاستهزاء)ا هـ

جاء في أيسر التفاسير للجزائري - (ج ١ / ص ٣٤)

﴿ الهزؤ ﴾ : السخرية واللعب . ﴿ الجاهل ﴾ : الذى يقول او يفعل مالا ينبغي قوله أو فعله .

جاء في تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٥٤)

(﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل فيرى أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل، استهزاءه بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده. فلما قال لهم موسى ذلك، علموا أن ذلك صدق)ا هـ

جاء في تفسير القرطبي - (ج ١ / ص ٤٤٦)

(والجهل نقيض العلم. فاستعاذ من الجهل، كما جهلوا في قولهم: أتتخذنا هزوًا،لمن يخبرهم عن اللّه تعالى، وظاهر هذا القول يدل على فساد أعتقاد من قاله. ولا يصح إيمان من قال لنبي قد ظهرت معجزته، - وقال: إن اللّه يأمرك بكذا -: أتتخذنا هزوًا ؟ ولو قال ذلك اليوم أحد عن بعض أقوال النبي صلى اللّه عليه وسلم لوجب تكفيره. وذهب قوم إلى أن ذلك منهم على جهة غلظ الطبع والجفاء والمعصية، على نحو ما قال القائل للنبي صلى اللّه عليه وسلم في قسمة غنائم حنين: إن هذه لقسمة ما أريد بها وجه اللّه. وكما قال له الآخر: اعدل يا محمد. وفي هذا كله أدل دليل على قبح الجهل، وأنه مفسد للدين. ثم قال مسألة: في الآية دليل على منع الاستهزاء بدين اللّه ودين المسلمين ومن يجب تعظيمه، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد. وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل، ألا ترى أن النبي صلى اللّه عليه وسلم كان يمزح والائمة بعده. قال ابن خويز منداد: وقد بلغنا أن رجلا تقدم إلى عبيداللّه بن الحسن وهو قاضي الكوفة فمازحه عبيد اللّه فقال: جبتك هذه من صوف نعجة أو صوف كبش ؟ فقال له: لا تجهل أيها القاضي ! فقال له عبيداللّه: وأين وجدت المزاح جهلا ! فتلا عليه هذه الآية، فأعرض عنه عبيد اللّه، لانه رأه جاهلا لا يعرف المزح من الاستهزاء، وليس أحدهما من الآخر بسبيل.)ا هـ

❷- تفسير قوله تعالي(وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) [الأنعام/٣٥]

جاء في زاد المسير - (ج ٢ / ص ٣٢٥)

(قوله تعالى : ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾ فيه ثلاثة أقوال أحدها : لا تجهل أنه لو شاء لجمعهم على الهدى . والثاني : لا تجهل أنه يؤمن بك بعضهم ، ويكفر بعضهم . والثالث : لا تكونن ممن لا صبر له ، لأن قلة الصبر من أخلاق الجاهلين).ا هـ

جاء في تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٢٥٤)

(﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ الذين لا يعرفون حقائق الأمور، ولا ينزلونها على منازلها.)ا هـ (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) [هود/٤٦، ٤٧])ا هـ ٣

❸- تفسير قوله تعالي تفسير قوله تعالي (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) [الأعراف/١٩٩]

جاء في تفسير الطبري - (ج ١٣ / ص ٣٣٢)

(وأما قوله:(وأعرض عن الجاهلين)، فإنه أمر من الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل. وذلك وإن كان أمرًا من الله نبيَّه، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم، لا بالإعراض عمن جهل الواجبَ عليه من حق الله، ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته، وهو للمسلمين حَرْبٌ.) ا هـ

جاء في تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٣١٣) (هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم. ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو برِّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر اللّه تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه.) ا هـ

4-(قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) هود ٤٦

جاء في تفسير الطبري - (ج ١٥ / ص ٣٥٠) (قال أبو جعفر : والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار، وذلك رفع(عَمَلٌ) بالتنوين، ورفع(غَيْرُ)، يعني: إن سؤالك إياي ما تسألنيه في أبنك = المخالفِ دينَك ، الموالي أهل الشرك بي من النجاة من الهلاك، وقد مضت إجابتي إياك في دعائك:(لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين ديَّارًا))، ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم عملٌ غير صالح، لأنَّه مسألة منك إليّ أن لا أفعل ما قد تقدّم مني القول بأني أفعله ، في إجابتي مسألتك إياي فعله. فذلك هو العمل غير الصالح. وقوله:(فلا تسألن ما ليس لك به علم) ، نهيٌ من اللّه تعالى ذكرهُ نبيه نوحًا أن يسأله أسباب أفعاله التي قد طوى علمها عنه وعن غيره من البشر. يقول له تعالى ذكره: إني يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاكي ابنك الذي أهلكته، فلا تسألن بعدها عما قد طويتُ علمه عنك من أسباب أفعالي، وليس لك به علم= "إني أعظك أن تكون من الجاهلين" في مسألتك إياي عن ذلك. وكان ابن زيد يقول في قوله:(إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ، أنْ تبلغ الجهالة بك أن لا أفي لك بوعد وعدتك ، حتى تسألني ما ليس لك به علم) ا هـ

5- (وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) [يوسف/٣٣]

جاء في تفسير الطبري - (ج ١٦ / ص ٨٩)

(من الذين جهلوا حقك، وخالفوا أمرك ونهيك، كما: - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق:(وأكن من الجاهلين) ، أي: جاهلا إذا ركبت معصيتك.) ا هـ

6- (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥) [القصص/٥٥]

جاء في تفسير الطبري - (ج ١٩ / ص ٥٩٨)

(وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) قال: كان ناس من أهل الكتاب أسلموا، فكان المشركون يؤذونهم، فكانوا يصفحون عنهم، يقولون:(سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ). وقوله:(أَعْرَضُوا عَنْهُ) يقول: لم يصغوا إليه ولم يستمعوه(وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) وهذا يدل على أن اللغو الذي ذكره الله في هذا الموضع، إنما هو ما قاله مجاهد، من أنه سماع القوم ممن يؤذيهم بالقول ما يكرهون منه في أنفسهم، وأهم أجابوهم بالجميل من القول(لَنَا أَعْمَالُنَا) قد رضينا بها لأنفسنا،(وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) قد رضيتم بها لأنفسكم. وقوله:(سَلامٌ عَلَيْكُمْ) يقول: أمنة لكم منا أن نُسَابَّكم، أو تسمعوا منا ما لا تحبون(لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) يقول: لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابَّتهم.) ا هـ

ثانيا- ذكرت كلمة الجاهل مرة واحدة وذلك في قوله تعالي

(يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ [البقرة/٢٧٣] جاء في تفسير ابن كثير - (ج ١ / ص ٧٠٤) (أي: الجاهلُ بأمْرهم وحالهم يحسبهم أغنياء، من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالهم.)ا هـ

1- قال الله تعالي(وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩) الزمر٨-٩

١- جاء في تفسير الطبري - (ج ٢١ / ص ٢٦٥)

عن السديّ(وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا) قال: الأنداد من الرجال: يطيعونهم في معاصي الله. وقال آخرون: عنى بذلك أنه عبد الأوثان، فجعلها لله أندادا في عبادتهم إياها. وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان، فحصل له الأوثان أندادا، لأن ذلك في سياق عتاب الله إياهم له على عبادتها. وقوله:(لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول: ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده، والإقرار به، والدخول في الإسلام. وقوله:(قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لفاعل ذلك: تمتع بكفرك بالله قليلا إلى أن تستوفي أجلك، فتأتيك منيتك(إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) : أي إنك من أهل النار الماكثين فيها. وقوله:(تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ) : وعيد من الله وتَهَدُّدٌ. معنى الكلام: قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار، ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما إنك من أهل الجنة، ويكون في النار عمى للفريق الكافر عند الله من الجزاء في الآخرة، الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن، إذ كان معلوما اختلاف أحوالهما في الدنيا، ومعقولا أن أحدهما إذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة)ا هـ

- جاء في بحر العلوم للسمرقندي - (ج ٤ / ص ٣٠)

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ ﴾ وهم المؤمنون ، ﴿ والذين لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ وهم الكفار في الثواب ، والطاعة . ويقال : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ ﴾ يعني : يصدقون بما وعد الله في الآخرة من الثواب ، ﴿ والذين لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ يعني : لا يصدقون . ويقال : معناه قل هل يستوي العالم والجاهل . فكما لا يستوي العالم والجاهل ، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي . ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الالباب ﴾ يعني : يعتبر في صنعي ، وقدرتي من له عقل ، وذهن .) ا هـ

جاء في تفسير النسفي - (ج ٣ / ص ٢٢٥)

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ والذين لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ أي يعلمون ويعملون به كأنه جعل من لا يعمل غير عالم ، وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنّون فيها ثم يفتنون بالدنيا فهم عند اللّه جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ، أو أريد به التشبيه أي كما لا يستوي العالم والجاهل كذلك لا يستوي المطيع والعاصي ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الألباب ﴾ جمع لب أي إنما يتعظ بوعظ اللّه أولو العقول) .ا هـ

جاء في تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٧٢٠)

(هذه مقابلة بين العامل بطاعة اللّه وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها، وعلم علما يقينا تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، كمن هو قانت أي: مطيع للّه بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة اللّه، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن. ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾ ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم ﴿ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ شيئا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار. ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾ إذا ذكروا ﴿ أُولُو الألْبَابِ ﴾ أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة اللّه على مخالفته، لأن لهم عقولا ترشدهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه.) ا هـ

❷- قال الله تعالي (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) [الزمر/٢٩]

-جاء في تفسير السعدي - (ج ١ / ص ٧٢٣)

(ثم ضرب مثلا للشرك والتوحيد فقال: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا ﴾ أي: عبدا ﴿ فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ﴾ فهم كثيرون، وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة من الحالات حتى تمكن راحته، بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟ ﴿ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾ أي: خالصا له، قد عرف مقصود سيده، وحصلت له الراحة التامة. ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ أي: هذان الرجلان ﴿ مَثَلا ﴾ ؟ لا يستويان. كذلك المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقر له قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه، قد خلصه الله من الشركة لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة، فـ ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على تبيين الحق من الباطل، وإرشاد الجهال. ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ا هـ

جاء في تفسير الطبري - (ج ٢١ / ص ٢٨٣)

(يقول تعالى ذكره: مثل الله مثلا للكافر بالله الذي يعبد آلهة شَتَّى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الذي لا يعبُد إلا الله الواحد، يقول تعالى ذكره: ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء. يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه، ورجلا مسلما لرجل، يقول: ورجلا خُلُوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية.) ا هـ

جاء في تفسير ابن كثير - (ج ٧ / ص ٩٦)

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ﴾ أي: يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، ﴿ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾ أي: خالصا لرجل، لا يملكه أحد غيره، ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا ﴾ أي: لا يستوي هذا وهذا. كذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له. فأين هذا من هذا؟ قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص، ولما كان هذا المثلُ ظاهرا بَيِّنا جليا، قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: على إقامة الحجة عليهم، ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: فلهذا يشركون بالله).ا هـ

جاء في تفسير البغوي - (ج ٧ / ص ١١٨)

﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا ﴾ هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، وهذا استفهام إنكار أي: لا يستويان، ثم قال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أي: لله الحمد كله دون غيره من المعبودين. ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ما يصيرون إليه والمراد بالأكثر الكل.)ا هـ

قال ابن القيم :

عن ذات هذا المثل في نفس هذه الآية : في إعلام الموقعين جـ ١
(فهذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد: فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون فلا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين. والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد ، قد سلم له وعلم مقاصده ، وعرف الطريق إلى رضاه ، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه ، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع ، مع رأفة مالكه به ورحمته له ، وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه. فهل يستوي هذان العبدان)أ.هـ

د.ماجد كارم